مآثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثار دعوته الإصلاحية خلال مائتين من السنين

للأستاذ حمد بن بكر العليان

قبل بضع ومائتي سنة أغمض الشيخ محمد بن عبد الوهاب عينيه، وانتقلت روحه إلى بارئها بعد جهاد طويل أقام به دعائم الدعوة الصحيحة ورسم معالم للدعاة وطهر الجزيرة العربية من أرجاس الجاهلية وخرافات المشعوذين.

قبل بضع ومائتي سنة وارى التراب في إحدى مقابر الدرعية جثمان علامة عصره العالم العامل الصابر المجاهد بعد أن وضع أسس الدولة السلفية بميثاق عرف فيما بعد بميثاق الدرعية، ذلك الميثاق الذي اتفقت به قوة السيف التي حمل لواءها شهم بطل من شجرة آل سعود محمد بن سعود وقوة الحق والدعوة السلفية الصحيحة التي أرسى دعائمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

فما أحرانا ونحن نشهد مرور هذه السنوات على وفاة ذلك المثل النادر في تاريخ الإسلام أن نتذكره

نتذكره وفاءً بحقه وترحمًا عليه ودعاء له بأن يتغمده الله برحمته هو ومن جاهد معه لإعلاء كلمة الله.

نتذكره لنستحث الخطى بحمل الدعوة التي عاش من أجلها ... فآتت ثمارها يانعة دولة أشرف على صيانتها آل سعود، وعلمًا صحيحًا توارثه تلاميذه وأبناؤه.

نتذكره ... لنبذل ولو القليل .. لهذه الدعوة تصحيحًا وتقويمًا ونشرًا وبيانًا.

نتذكره ... لنقف أمام الصوفية

ومريديها والقبورية ومرتاديها والشعوذة والمدجلين وراءها .

نتذكره ... ليكون قدوة يتبع في تطبيق الإسلام الصحيح، ومثلاً يحتذى في الذود عن دين الله وحب أوليائه .

نتذكره ... ونحن نرى ونعيش ثمار دعوته الإصلاحية علماً صحيحاً ينهل من مناهل النبوة وعلماء أتقياء يتوارثونه أباً عن جد .

نتذكره ليكون نموذجاً من نماذج الدعاة الذين جاهدوا بالقلم فأنتجوا كتباً عظيمة قيمة، وجاهدوا بالسيف فأقاموا دولة سلفية عادلة .

نتذكره لنقف أمام تلك الحملات الهوجاء الظالمة التي ناصبت الدعوة العداء فوسمتها بأسماء هي منها براء ، وألصقت التهم والافتراءات بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان .

نتذكره ... في وقت لا تزال دعوة الشيخ تحاول وتحاول بيان الحق والخير للناس مرفوعة الرأس مهيبة الجانب.

ولأجل أن نتذكره دعونا نتصفح ما كتب عنه وعن دعوته وتاريخه وما خلفه من علم وكتب، فهو رجل عبقري ودعوته دعوة الإسلام السلفية وتاريخه تاريخ أمة .

عسانا بهذا أن نوفيه بعض حقه .

ليل بهيم :

وقبل أن نتعرف عليه، ولأن الرجال تعرف بأزمانها فيحسن بنا أن نتعرف على زمانه، والرجال تعرف وقت الشدائد والأزمات.

فلقد عمَّ الحياة خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجري في قلب الجزيرة العربية ظلام دامس توالى عليها بتوالي القرون، وأصبحت معزولة تماماً عن مصادر العلم الصحيح، فانتشر الجهل وساد بين أواسط الناس، وبرزت مظاهره التي تمثلت في تقديس الأشجار، والتبرك بالقبور والتعلق بالأولياء، والتمسح بالأضرحة، ولم تكن هذه المظاهر في قلب الجزيرة فقط بل عمَّت العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه. مما نراه اليوم سائداً في المواطن التي لم تنعم بدعوة الشيخ السلفية.

أما الأوضاع السياسية فقد تفككت أوصال البلاد، وأصبح في كل قرية أو شبر من الأرض حاكم هو السيد المطاع يشن

غارات على القرى المجاورة فعم الخوف وساد الهلع.

ومن خلال بصيص من نور العلم الذي ظل يتناقل بين فئات قليلة من بعض الأسر ظهر محمد بن عبد الوهاب في أوائل القرن الثاني عشر.

المنبت الطيب :

تعود أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أصول كريمة من بني تميم فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ابن محمد بن أحمد بن راشد بن مشرف وآل مشرف فرع كريم من فروع قبيلة تميم مشهود لهم بالعلم والفضل في بلاد نجد.

ويعد آباء الشيخ محمد بن عبد الوهاب علماء في زمانهم .. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقاوموا التيار المضاد والبعيد عن منهج الإسلام الصحيح فقبعوا على حالهم، مع أنه كان لهم قدم راسخة وشهرة ذائعة في بلادهم في الفقه والفتيا.

جد الشيخ .... سليمان :

لقد كان سليمان من علماء بلدة «العيينة»، وفقهاء نجد البارزين وهو صاحب علم غزير في الفقه والحديث وأصولهما وعلوم القرآن والعربية وكان له مكانة عند أمراء نجد وعشائرها وعلى وجه الخصوص أمير العيينة «عبد الله بن معمر».

وكانت الرسائل كما يذكر أحمد عبد الغفور عطار ترد إليه من بلدان نجد وقراها تسأله وتستفتيه، وطلاب العلم يفدون عليه ومن كبار تلاميذ الشيخ العلامة أحمد بن محمد القصير وابنه الشيخ إبراهيم وله كتاب «تحفة الناسك في أحكام المناسك» طبع في مصر سنة ١٣٥٤هـ⁽١⁾.

وينقل شكيب أرسلان في كتاب حاضر العالم الإسلامي رواية لا ندري مدى صحتها مع أن معناها قد تحقق لما نرى الآن من أثر دعوة الشيخ وهذه الرواية هي «أن جد الشيخ «سليمان» قد رأى فيما يرى النائم ناراً خرجت من سرته فأضاءت البوادي كلها». فعبر بعضهم هذه الرؤيا بأنه يخرج من صلبه رجل يهدي الأقوام ويؤسس ملكاً كبيراً. فكان ذلك الرجل هو حفيده محمد بن عبد الوهاب بن سليمان⁽٢⁾.

وقد توفي سليمان هذا سنة ١٠٧٩هـ بعد أن خلف أبناء لم يكن لهم شغل غير العلم، واشتهر منهم عبد الوهاب.

والد الشيخ « عبد الوهاب »:

انتهت إلى عبد الوهاب بعد وفاة أبيه رئاسة القضاء، والعلم والفتيا فلقد كان شيخاً عالماً فاضلاً. وله رسائل في الفقه وتأليفات نافعة في التفسير.(٣)

وفي سنة ١١١٥هـ الموافق سنة ١٧٠٣م رزقه الله بابن فرح به غاية الفرح، وأسماه «محمداً» تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم ونشأ الشاب «محمد» في دار علم وفضل وخلق فرعاه والده رعاية صالحة حيث رأى فيه ذكاء، خارقاً وذهناً متوقداً ورغبة للعلم. فلقد حفظ القرآن ولم يتجاوز من العمر العاشرة وهكذا دوماً يكون أصحاب المواهب العالية والنابغون في الامة.

وبدأ الشاب يجالس طلبة العلم فحفظ المتون وأنواع الفنون في الفقه واللغة والحديث والتفسير. وبدأ اسمه يعلو بوصفه عالماً له وزنه واعتباره وطبقت شهرته العيينة وما جاورها وكان رغم صغر سنه شجاعاً في الحق منكراً كل ما يناقض الإسلام أو يخالفه من أعمال بدعية أو خرافات.

فأنكر على أهل العيينة هذه البدع والخرافات مما حدا بالسفهاء، والجهلاء، إلى مضايقته فخرج مع والده إلى حريملاء.

رحلات الشيخ العلمية :

وكعادة العلماء، العاملين فإن الرحلات والجولات العلمية والسفر في تحصيل العلم منقبة لابد من التميُّز بها. فلذا شد الرحال إلى بيت الله لأداء، فريضة الحج والالتقاء، بالعلماء، في مكة المكرمة.

وفي مكة المكرمة جالس العلماء، فاستفاد منهم واستفادوا منه وغادر مكة إلى طيبة الطيبة حيث التقى هناك بعالمين كبيرين سلفيين هما الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف وهو من علماء، المجمعة من سدير إلا أنه سكن المدينة فأكرمه ابن سيف وتدارس معه العلم والدعوة. وابن سيف هذا هو صاحب كتاب «العذب في علم الفرائض(٤).

كما التقى بالشيخ محمد حياة السندي الذي قدم من السند وأقام في المدينة وهو صاحب المؤلفات النافعة التي منها (مقدمة في العقائد) وشرح (الترهيب والترغيب) وتحفة المحبين في شرح الأربعين النووية(٥).

ويعد الشيخ السندي من كبار علماء الحديث.

وقويت الصلة بينه وبين هذين العالمين وغيرهما من علماء المدينة الذين أعجبوا بذكائه ورغبته في العلم وإنكاره

المنكرات ومظاهر تعظيم القبور والقباب السائدة في الجزيرة العربية.

وبعد أن أفاد واستفاد عاد إلى نجد مرة أخرى، إلا إنه رأى الحاجة ماسة إلى أن يقوم بجولة أخرى تشمل مناطق أخرى من العالم الإسلامي ومراكز العلم فيه في ذلك الوقت. ليكون على اطلاع واسع ومعرفة صحيحة بأحوال العالم الإسلامي.

فسافر إلى البصرة وهناك التقى بالشيخ محمد المجموعي(٦) عالم فاضل سلفي المعتقد ولكنه شاهد في البصرة ما شاهده في نجد من تزاحم حول القبور واعتقاد فيها وترك للجهاد والعلم.

عندها جهر بالدعوة هناك وأوضح للناس أن ما هم عليه خلاف للإسلام.

ولكن أهل البصرة أخرجوه منها فذهب إلى الأحساء، ومنها عاد مرة أخرى إلى حريملاء، حيث استمر على القيام بالدعوة وواجباتها، ولكن الناس في هذه المرة ثاروا عليه وناصبوه العداء.

فهوَّن الله عليه الأمر بتأييد أبيه له ومساعدته إياه، إلا إن أباه وافاه الأجل سنة ١١٥٣هـ فلم تطل إقامة الشيخ في حريملاء وغادرها مُيَمِّماً وجهه نحو العيينة فأميرها عثمان بن معمر من المؤيدين للدعوة ومناصريها فرحب به وناصره وساعده وقد بلغ من تأييده له أن طلب منه مصاهرته فزوجه عمته «الجوهرة بنت عبد الله بن معمر»(٧).

وكانت الجوهرة امرأة طيبة ذات خصال حميدة كما كانت عوناً للشيخ على الدعوة ومشقتها.

وهكذا يعين الله العلماء بزوجات صالحات ليكونوا أهلاً لتحمل تبعات الجهاد وأقدر على البذل والعطاء.

وفي العيينة قام كل من الشيخ والأمير بأعمال جليلة من قطع للأشجار وتسوية للقبور، وهدم للقباب وتعليم الناس الإسلام ومدارستهم العلم فأقيمت الأحكام وساد الشرع وأصبحت العيينة تموج بأنصار الدعوة وطلبة العلم.

يصور ذلك حسين بن غنام في كتابه «روضة الأفكار» فيقول (لم يبق وثن في البلدان التي كانت تحت يد عثمان بن معمر، وشاع ذلك واستبان، ونعم بذلك أهل الإيمان، وانتشر الحق وبان وسارت بذلك الركبان)(٨).

إلا أن الأحوال لم تدم، فقد تكالب أهل الظلم مرة أخرى وطالبوا الأمير بإخراج الشيخ من العيينة، وهددوا

بالهجوم عليها وقتل الشيخ إن لم يخرج، وتدارس الشيخ والأمير الوضع وتشاوروا فيه فرأى الشيخ أن يذهب إلى بلد آخر أكثر أمناً للداعي والدعوة.

فكانت «الدرعية» في ذلك الوقت أكثر البلدان المرشحة لذلك كيف لا ؟ وحاكمها أمير صالح .. وقائد همام هو محمد بن سعود.

غادر الشيخ العيينة. إلا أن أميرها بقي مخلصاً للشيخ ودعوته بل إنه شارك فيما بعد، عندما ظهرت الدعوة وانتشرت في كثير من الغزوات والمعارك مع الأمير محمد بن سعود.

في الدرعية ... انتصار الدعوة :

وصل الشيخ إلى الدرعية تحيطه عناية الله سنة ١١٥٨هـ، وهناك نزل ضيفًا عند أحد تلاميذه «عبد الله بن سويلم»، وما إن علم طلبة العلم بقدوم شيخهم وأستاذهم توجهوا لزيارته والسلام عليه، فلقد تمكن حبه في قلوبهم، فكيف وهو في بلادهم ؟ إلا أن الخبر ظل مكتوماً خوفاً على نفوسهم وعلى شيخهم من أمير الدرعية محمد بن سعود.

وما هي إلا أيام حتى سعى بعض تلاميذ الشيخ إلى إخوة الأمير وعرفوهم بمكانة الشيخ، فقام هؤلاء الأشقاء، بإيصال الخبر إلى زوجة الأمير «موض بنت أبي وهطان» من آل كثير(٩)، وهي امرأة اشتهرت لدى قومها بالإحسان إلى طلبة العلم وعلماء الدين، وكانت معروفة في نجد بحصافة الرأي ورجاحة العقل وتفتح الذهن. فقالت مما قالت لزوجها «إن مجيء الشيخ إلى بلادك هو عطية ساقها الله إليك فاغتنم ما خصك الله به».

وما إن بلغ الأمير الشهم خبر قدوم الشيخ إلى بلده طالباً نصرته حتى هب مسروراً لذلك، وذهب الأمير إلى بيت آل سويلم تكريماً للشيخ الضيف وقال له بلغة قوية تدل على شهامة وعزة وحب للخير «ياشيخ محمد ... أبشر وعلى الرحب والسعة ... أبشر بالعز والتمكين والمنعة... أبشر ببلاد خير من بلادك»(١٠).

ولم يتردد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو الواثق بالله والمتوكل عليه، الثابت على مبادئه وما يدعو إليه بل رد قائلاً ... (وأنا أبشرك بالعز والتمكين ... وهذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل لها ونصرها ملك بها البلاد

والعباد ... وهي كلمة التوحيد وأول ما دعا إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم).(١١)

وتعاهدا في ذلك المجلس وبسطا أيديهما واتفقا على إظهار دين الله والجهاد في سبيله وطمس معالم الشرك ومحو آثاره واقتلاع جذوره وتصحيح العقيدة وتطهير الإسلام وتخليصه مما علق به من البدع وألصق به من الخرافات، وإزالة ما وقع في النفوس وقام بها من الشبهات، وتعاهدا على جمع كلمة المسلمين وإصلاح خللهم ولَم شعثهم.

لقد كان هذا العهد والميثاق بين المحمدين (الأمير والشيخ) نقطة تحول كبير في الجزيرة العربية حيث سارت جيوش التوحيد تنشر العقيدة الصحيحة بين أهل الجزيرة، وأخذت دعوة التوحيد تأخذ مساراً جديداً بمعاونة قوة السيف التي التزمت بالإسلام عقيدة ومنهجاً وأصبحت الدرعية منارة من منارات العلم يفد إليها طلبته، ومصدر إشعاع إلى بقية بلدان الجزيرة العربية.

وواصل الشيخ جهاده وتعليمه وتوجيهه لقوافل الحق طوال فترة حياته بنشاط لا يفتر وعزيمة لا تفل ونفس لا تعرف إلى الراحة سبيلا.

دعوة الشيخ ... دعوة إلى التوحيد:

إن دعوة الشيخ ولله الحمد لا تزال قائمة في المملكة نلمس آثارها وندرك نتائجها، فهي دعوة واضحة تقوم على الكتاب والسنة وتستمد روحها من أقوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان.

ورغم هذا الوضوح فقد أمضى الشيخ - في زمانه - عمره - وقام بعد ذلك تلاميذه - في بيان دعوته إلى الناس بدءاً بأهله وأهل بلده إلى كافة الناس في الجزيرة العربية وما حولها .. وحتى الذين ناصبوه العداء، فقد وقف موضحاً لهم الدين وما يقوم عليه ومحذراً لهم ما يرتكبوه من معاصي تغضب الله أو انحرافات تبعد عن الإسلام.

يقول الشيخ عن نفسه في إحدى رسائله (أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره وأومن بالجنة والنار

وأومن بأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته وأن أفضل أمته أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي)(١٢).

ويقول في موضع آخر من رسالة وجهها إلى السويدي عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس فيه فأجابه قائلاً (وأخبرك أني ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق لله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل).(١٣)

يقول الشيخ الأستاذ محمد رشيد رضا صاحب المنار ومن له قدم راسخة في الفقه والتفسير، يقول في مقدمته لكتاب (مجموعة الحديث النجدية) والذي احتوى بالإضافة إلى كتب للإمام أحمد بن حنبل وابن القيم أربع رسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب. يقول محمد رشيد رضا (وقد كان مما استعمل الله تعالى به الشيخ محمد ابن عبد الوهاب مجدد الدين في نجد وما حولها أن أحيا مدارسة السنة النبوية فيها للاهتداء، بها لا لمجرد التبرك بألفاظها ولا لأجل الاستقلال فيها دون ما كتب المحدثون والفقهاء، في شرحها والاستنباط منها، بل نرى من هداهم الله تعالى بدعوته، وأنقذهم من الجهالة التي عادت إلى أكثر أهل جزيرة العرب مازالوا يحيون كتب فقه شيخ السنة الأكبر الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه مع خيار كتب التفسير والحديث لغير الحنابلة من علماء السنة فكانوا من أجدر المسلمين بلقب «أهل السنة».(١٤)

ويقول الشيخ الفاضل محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى في مقدمته لكتاب «مسائل الجاهلية» للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن وصف حالة العالم الإسلامي قال (ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجل عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضوماً فيهم وأعني به الرجل المصلح داعية العرب والمسلمين للرجوع إلى فطرة الإسلام الأولى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.(١٥)

وبعد أن أوضح جهاده قال رحمه الله (لقد ثبت في جهاده إلى أن لقى ربه فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة إليها وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ولا يُشهد رمضانُ (بفتح ياء المضارع) فيها ما يشاهده في مصر والشام والعراق من فضائح، يحجون بقلوب لا متسع فيها لغير الإيمان بالله، وكل رجل منهم عنده كفنه يحمله مع سلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد)(١٦).

ويقرر لوثروب ستودارد في كتاب حاضر العالم الإسلامي قائلاً (إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة، غرضها إصلاح الخرق ونسخ الشبهات وإبطال الأوهام، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى ودحض البدع وعبادة الأولياء، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به من أوله وأصله ولبابه وجوهره)(١٧).

العداء المتأصل :

بكل ذلك الوضوح كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكن أنّى لأولئك المعاندين والمكابرين معرفة الحق وأهله؟

لقد شنوا حملاتهم البغيضة ضد الدعوة المباركة وألصقوا بالشيخ التهم وحرفوا ما قاله وحرره، فمن تلك الاتهامات التي وجهت إلى الشيخ ودعوته ما يلي:(١٨)

١ - قالوا أنه يبطل كتب المذاهب، وأنه يقول الناس منذ ٦٠٠ سنة ليسوا على شيء.

٢ - وقالوا أنه يدعي الاجتهاد والخروج عن التقليد.

٣ - وقالوا أنه يقول إن اختلاف العلماء نقمة.

٤ - وقالوا أنه يكفر من توسل بالصالحين والأولياء.

٥ - وقالوا أنه ينكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد أوضح الشيخ من خلال مؤلفاته ومراسلاته وخطبه أن ما يقوله في هذه المسائل وغيرها هو ما يقوله الله ورسوله والصحابة ولا يدعي بأنه أعلم ممن سبقه من العلماء، بل إنه متبع لأقوالهم مقتف آثارهم متلمساً لسنتهم.

ولقد سارت الدعوة المباركة رغم الاتهامات والشائعات فلم يغمض الشيخ عينيه إلا وجيوش الحق من أبنائه وأحفاده وتلاميذه قد بلغت أطراف الجزيرة العربية توضح الحق للناس وتبينه لهم.

فزاد عداء الأعداء والمبغضين للحق، وانتقل هذا العداء إلى خارج الجزيرة ونشرت هذه الاتهامات والدعايات المغرضة ضده وسميت هذه الدعوة «الوهابية» إيهاماً منهم بأنها مذهب جديد بعيد عن الإسلام وأنه مذهب محدث وأن أهلها خوارج أو روافض.

واشتد ساعد البغي والظلم ضد هذه الدعوة المباركة وكثرت الدسائس والاتهامات الملفقة عنها.

حقد وتدمير :

وتزايد الحقد فقامت الدولة العثمانية بشن حصار رهيب على هذه الدعوة وأرسلت أحد الفسقة من ولاتها بجيش للقضاء على الدعوة ومحاربتها. كما يذكر ذلك لوثروب ستودارد في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) أن محمد علي باشا لما أعطته الدولة العثمانية الضوء الأخضر في حرب الدرعية، دعا إليها ضباطاً من أهل الغرب فنظموا له جيشاً قوياً ودربوه تدريباً على الطراز الغربي وجهزوه بمعدات الأسلحة الغربية. وقد حاصرت قوات إبراهيم بن محمد علي باشا الدرعية سنة ١٢٣١هـ ووقعت وقائع وأهوال تشيب الأطفال، وقبض على أمير الدرعية عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي أرسل إلى مصر ومن ثم إلى استنبول حيث قتل هناك في ساحة أيا صوفيا رحمه الله(١٩). كما قبض على مجموعة من العلماء وأرسلوا إلى مصر(٢٠) ويصور الشاعر الأحسائي ابن مشرف حالة الدرعية بعد تدميرها بقصيدة منها :(٢١)

أليل غشا الدنيا أم الأفق مسود
أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو

أم السرج النجدية الزهر أطفئت
فأظلمت الآفاق إذا أظلمت نجد

تفرق أهلوها وسُـلَّ عن الهـدى
سيوف على هامات أنصاره تشدو

بأيدي غواة مفسدين لقد عثـوا
وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد

قضاء من الرحمن جـار بحكمـه
ولله من قبـل الأمـور ومن بعـد

ويقول عبد الكريم الخطيب في كتابه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. (لقد أبلى أهل نجد بلاء لا يكاد يصدقه العقل، لقد كانوا كباراً وصغاراً، وشيوخاً وشباباً فرقة من فرق الانتحار التي عرفتها الحروب الحديثة فما أسلم أحد منهم نفسه ولا ولى بظهره، فهم إما صريع مقتول وإما مثخن بالجراح قد تلف أكثرُه)(٢٢).

كما تذكر مريم جميلة في كتابها الإسلام في النظرية والتطبيق (إن الحكومة البريطانية التي كانت تخشى أي بعث إسلامي سُرت عندما سمعت بما فعله محمد علي وولده إبراهيم، وأرسلت وفداً خاصاً من الهند برئاسة القائد جورج فوستر ساولير لتهنئتهم).(٢٣)

وهكذا يسر أعداء الله بما يفعله الجهلة والفسقة من المسلمين، فماذا استفاد هؤلاء عندما دمروا الدرعية؟ وقتلوا الشيوخ والأطفال؟ والعلماء؟ لقد دمرت الدرعية وبقيت آثار دمارها شاهدة على ما يفعله الظلمة وما تقترفه أيدي الطغاة.

ولكن الدعوة بقيت وبقي العهد الذي أخذه الشيخ على نفسه مع الأمير محمد بن سعود، وعادت الدعوة مرة أخرى قوية الجانب ... نراها الآن مُلكاً قائماً على معظم أنحاء الجزيرة العربية، وعلماً متوارثاً أبا عن جد وتحقق للأمير محمد بن سعود ما قاله له صاحب الدعوة فملك أحفاده الجزيرة العربية مرة أخرى وأقاموا فيها دولة شامخة على مبادئ، هذه الدعوة.

علماء مدجلّون وأبحاث مغرضة :

رغم قيام الدعوة مرة أخرى بعد تدمير قلعتها الدرعية وقتل علمائها ... رغم كل ذلك فلقد عمَّ العالم الإسلامي فكرة مشوهة عمًا قام به الشيخ رحمه الله وظهرت كتب وأبحاث كتبها قوم مغرضون ألصقوا بالشيخ التهم ووضعوا حول دعوته الشبهات، وزرعوا في قلوب الناس الضغينة ضد هذه الدعوة المباركة وأسموها كما أوحت لهم شياطينهم بذلك اسم «الوهابية» ليصوره للناس ديناً جديداً وطائفة مستقلة وأجروا كل ذلك على ألسنة الدراويش ومرتزقة طعام التكايا والزوايا، وكانت هذه الكتب سبباً مباشراً في عدم قبول دعوة الشيخ خارج الجزيرة، كما أدت هذه الدسائس والشبهات التي حملتها أو تضمنتها تلك الكتب في أوساط

المسلمين إلى التبرء من وصف الوهابية أو الوهابي حتى بين المشتغلين بالعلوم الشرعية بل ويرون ذلك التبرء إنما هو إخلاص للإسلام. ومن هذه الكتب التي شوهدت الحقيقة باسم الدين محاربة له وحاقدة على أوليائه ما يلي:(٢٤)

- رسالة لمختار بن أحمد باشا وقد سمَّاها «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام».
- كتيب لأحمد زيني دحلان سماه «الدرر السنية في الرد على الوهابية ولهذا الأحمق رسالة أخرى كلها تحريف للناس وحشو لأباطيل سماها «فتنة وهابية».
- كتيب لمصطفى الكريمي بن إبراهيم السيامي (من بلاد سيام) سماه «رسالة السنين في الرد على المبتدعين الوهابين».

وقد شحن هؤلاء الدجالون في هذه الكتب غضبهم وما تحمله قلوبهم من غيظ وحقد على الإسلام والمسلمين بقصد تشويه دعوة الشيخ وصد الناس عنها وإنه لمن المؤسف حقاً أن تجد أمثال هذه الكتب من يروج لها ويسعى في طبعها.

ولكن الله سبحانه وتعالى لم يبلغهم ما يرمون إليه فتصدى لهذه الكتب والرسائل علماء أجلاء، كشفوا ما فيها من دجل ومغالطات ووضحوا الحق وأقاموا الحجة على كاتبيها ومؤيديها وناشريها.

ومع وضوح الحق وانبلاجه وسهولة معرفته في العصر الحديث إلا أن أستاذاً هو الدكتور « محمد البهي » أصدر كتاباً بعنوان «الفكر الإسلامي في تطوره» عالج فيه الفكر الإسلامي وتطوره وتتبع أدواره المختلفة، فعقد فصلاً عن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وملأ ما كتب عنها بمزاعم لا تتفق مع الحق ولا سند لها من الواقع ونقدها نقداً جانب فيه الإنصاف ولم يراع فيه موازين البحث العلمي، وقد تصدى لمزاعمه هذه الأستاذ الدكتور محمد خليل الهراسي من الجامعة الإسلامية في كتاب قيم له أسماه، الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي».(٢٥)

قبول في كل مكان .... رغم الحملات الهوجاء :

ورغم الحملات العسكرية ضد الدعوة وأهلها، ورغم الحملات الإعلامية المشوهة للحقيقة، فقد طرح الله سبحانه وتعالى لهذه الدعوة المباركة في القلوب لها القبول.(٢٦)

- في الهند فمن تأثر بالدعوة من زعماء

الهند «السيد أحمد» الذي نشر الدعوة في البنجاب وكان يعد العدة لنشر الدعوة السلفية في أنحاء الهند فحالت منيته دون ذلك، ومنهم «صديق حسن خان» ملك بهوبال ومؤسس حركة أهل الحديث، وكما تأثر بدعوة الشيخ فيلسوف الهند وشاعر الإسلام محمد إقبال اتضح ذلك من شعره وكتاباته.

- **وفي المغرب العربي** تأثر بالدعوة «سيدي محمد بن عبد الله» الذي حارب الصوفية متأثراً بكتب وآراء الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وكذلك فعل «مولاي سليمان» الذي قام ضد الزوايا ودعا إلى التوحيد.

- **وفي الجزائر** تأثر بدعوة الشيخ عبد القادر الجزائري.

كما إننا نجد في ليبيا محمد علي السنوسي قد تأثر بالدعوة وتبنى آراء أصحابها اتضح ذلك في جهاده في ليبيا لمحاربة البدع وإظهار الدعوة كما أوقد روح الحماسة في قلوب الليبين وعلَّمهم العقيدة الصحيحة.

- **وفي السودان وغرب أفريقيا** تأثر بدعوة الشيخ عثمان بن فودي في أثناء إقامته بمكة وعثمان هذا هو أحد أبناء قبيلة الفولاني التي عملت على تقويض بقايا الوثنية وعبادة الأموات ونشر الإسلام بين القبائل السودانية.

- **وفي مصر** نجد أن الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا قد تبنيا آراء الشيخ ودافعا عنها في كتاباتهما كما يعتبر عبد الرحمن الجبرتي مؤرخ مصر أقوى من تأثر بالشيخ ودعوته وكان يرى أن الأتراك على خطأ في محاربتهم للشيخ مما دفع محمد علي باشا إلى قتله رحمه الله.

- **وفي الشام** تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب جمال الدين القاسمي.

- **وفي العراق** نجد أن عائلة «الآلوسي» الذين بذلوا حياتهم لتعميق مصادر الشريعة الإسلامية في العراق قد كتبوا عن الشيخ ودعوته ونافحوا عنها.

- **وفي اليمن** سار على نهج الشيخ واقتفى آثاره الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني. أما الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام وغيره من التصانيف النافعة والمتوفى سنة ١١٨٢هـ في صنعاء، فقصيدته الدالية المشهورة في مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب خير دليل على حبه للشيخ فلقد

وصف دعوته وتمنى المسير إليه ومقابلته وتبلغ هذه القصيدة ٧٤ بيتاً يقول فيها:(٢٧)

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا
رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد
فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هاد ما
مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد

مؤلفات الشيخ وآثاره :

لو لم يكن للشيخ رحمه الله من جهد وعمل غير ما بذله في سبيل إعادة الناس إلى صفاء الإسلام، وترك عادات الجاهلية المتوارثة، لكفاه ذلك فخراً.

ولكنه مع هذا كله خلف إنتاجاً علمياً ضخماً يدل على إطلاع واسع ومعرفة محيطة لمختلف مجالات العلوم مع حصافة رأي وثقب نظر وعدالة حكم وسوف نتاول هنا بعض مؤلفات الشيخ بشيء من الإيجاز:

١ - كتاب التوحيد الذي سماه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد».

ألف الشيخ هذا الكتاب أثناء إقامته في حريملاء، ولا يزال المنزل الذي كتبه فيه قائماً عند مدخل المدينة.

يقول الأستاذ/عبد الرحمن الرويشد عن هذا الكتاب «إنه أشهر مخطط عريض لمحتوى أبعاد دعوة الشيخ وهو كتاب صغير الحجم كبير المعنى عظيم الفائدة، وعلى اختصاره فهو شامل ومركز لمجموعة الأفكار وأمهات المسائل التي ظل الشيخ الإمام يدعو ويناضل من أجلها في بيان ما بعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب وما ينافي ذلك من أعمال الشرك»(٢٨).

ويقول عن الكتاب شارحوه (كتاب فرد في معناه لم يسبقه إليه سابق ولا لحقه لاحق).

وقد تناول كثير من العلماء هذا الكتاب شرحاً وتفصيلاً وبياناً ومن أهم شروح كتاب التوحيد ما يلي:

- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد

وصاحب هذا الشرح هو حفيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المولود سنة ١٢٠٠هـ، وهذا الحفيد قال عنه الشيخ إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم، برع في فنون العلم وكانت له اليد الطولى في الحديث ورجاله ويروى عنه إنه كان يقول (أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية). وكان صلباً في الحق لا تأخذه لومة لائم في الله. لم ير شخص في زمنه حصل له من الكمال والعلوم والصفات سواه رغم صغر سنه، وقد أكرمه الله بالشهادة حيث أطلق عليه رجال إبراهيم باشا الرصاص بعد استيلائهم على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ(٢٩)(٣٠).

قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين على كتاب التوحيد

وصاحب هذا الشرح حفيد آخر من أحفاد الشيخ هو عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب المولود سنة ١١٩٦هـ. والذي حظي بمكانة علمية عالية يقول عنه ابن بشر، هو البحر الزاخر وارث العلم كابراً عن كابر، الذي صارت الأصاغر بإفادته أكابر قاضي قضاة الإسلام والمسلمين(٣١)، أخذ العلم من كبار العلماء في مصر حيث نقله إبراهيم باشا إلى مصر بعد وقعة الدرعية وهناك التقى بعدد من العلماء فاستفاد منهم ونقل علومهم فأجازوه للقضاء والفتيا، ومكث هناك ثماني سنوات عاد بعدها إلى نجد سنة ١٢٤١هـ في زمن الإمام تركي بن عبد الله في الرياض، وبعد عودته أصبح شيخ نجد وضربت إليه آباط الإبل من أقطار نجد والأحساء، واستفاد من علمه جمع هائل وتخرج على يديه علماء أفاضل وتوفى رحمه الله سنة ١٢٨٥هـ.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :

صاحبه أيضاً الشيخ عبد الرحمن ابن حسن وهو كتاب يقول عنه مؤلفه (أنه تهذيب وتقريب وتكميل لكتاب تيسير

العزيز الحميد أدخلت عليه بعض النقول المستحسنة تتميماً للفائدة .(٣٢)

القول السديد في مقاصد التوحيد :

وهو تعليق على أبواب التوحيد قال عنه مؤلفه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي كتاب حوى من غرر مسائل التوحيد ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها.

إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد :

مؤلفه الشيخ حمد بن علي بن عتيق وقد طبعه الأمير سلطان بن عبد العزيز ضمن عدد من الرسائل للشيخ حمد بن عتيق(٣٣).

الدر النضيد على كتاب التوحيد :

شرح وتعليق الشيخ سعيد بن عبد العزيز الجندول

ولكتاب التوحيد شرح واف آخر ألفه صاحب المطبعة المنيرية محمد منير عبده أغا الدمشقي وطبعه حمد بن فالح آل ثاني من قطر.

٢ ـ كتاب كشف النبهات في التوحيد :

وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة وكان في السابق مقرراً في المدارس الابتدائية في المملكة وقد اتبع الشيخ رحمه الله فيه أسلوباً جديداً في عرض التوحيد عن طريق السؤال والجواب وقد شرحه وعلق عليه (الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله).

٣ ـ ثلاث عشرة رسالة هي:

أ ـ مسائل الجاهلية.

ب ـ ستة مواضع من السيرة النبوية.

ج ـ تفسير كلمة التوحيد .

د ـ أربع من قواعد الدين تميز المؤمنين من المشركين.

هـ ـ تلقين أصول العقيدة للعامة.

و ـ ثلاث مسائل في التوحيد .

ز ـ معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه.

ح ـ الأصول الثلاثة الواجبة على كل مسلم ومسلمة.

ط ـ الجامع لعبادة الله وحده.

ي ـ أحكـام الصلاة .

ك ـ بعض فوائد سورة الفاتحة .

ل ـ نواقـض الصـلاة .

م ـ ستة أصول عظيمة مفيدة جليلة .

وقد طبعت هذه الرسائل مجموعة في كتاب الجامع الفريد(٢٤) وفي كتاب مجموعة التوحيد(٢٥) اللذين احتويا أيضاً على رسائل أخرى لأحفاد الشيخ وتلاميذه.

كتب أخـرى هي :

أ ـ أصول الإيمـان .

ب ـ فضل الإسـلام .

ج ـ الكبـائـر .

د ـ نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين.

وقد طبعت هذه الكتب الأربعة في كتاب «مجموعة الحديث النجدية»(٣٦) كما أن كلاً من الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري قاما بجهود طيب في مراجعة نصوص أصولهما والتعليق عليهما وقد طبعت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . هذه الرسائل منفصلة محققة طبعة أنيقة.

رسائل بعنوان «آداب المشي إلى الصلاة» . وكانت في السابق مقرراً في المدارس في المملكة.

كتاب مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو كتاب مفيد ومختصر في السيرة النبوية حققه الأستاذ / محمد حامد الفقي(٣٧).

مسائل الجاهلية :

هي رسالة من رسائل الشيخ ذكر فيها ١٠٠ مسألة من المسائل التي خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية من الكتابيين والأميين.

وقد توسع فيها وعلق بتفصيل، أوضح مجملها وكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل فضيلة الشيخ علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي الذي اقتصر في شرحه لهذه المسائل على أوضح الأقوال، وغالب هذه المسائل موجود في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية(٣٨).

وقد سعى في طبعها أديب العراق السيد / محمد بهجت الأثري ـ الحائز على جائزة الملك فيصل مؤخراً ـ وهو من خير من أنجبهم العلامة الألوسي.

وبالإضافة إلى كل هذه الكتب ، وكما هي عادة العلماء العاملين فإن الشيخ له مراسلات مع كثير من الناس والأقوام ، كما أن له مكاتبات خاصة وتوجيهات عامة وإجابات لكثير من الأسئلة الي ترد عليه من الأقطار، وقد جمعت هذه الرسائل التي تربو على ٥١ رسالة في كتاب واحد باسم: الرسائل الشخصية. وهذه الرسائل تهدف إلى بيان التوحيد ومحاربة مظاهر الشرك والدعوة إلى دين الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٣٩٧ أسبوعاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ألقيت فيه عدد من المحاضرات، ولقد كان هدف هذا الأسبوع هو التعريف بالشيخ وتجلية حقيقة دعوته على مستوى العالم الإسلامي، وكشف الشبهات التي أثيرت حوله في بعض البلدان الإسلامية في ظل ظروف تاريخية مختلفة.

والحق يقال أن هذا أول عمل منظم خدم دعوة الشيخ وأبان ما قام به من جهاد في سبيل الله. ولقد كان من حسنات هذا الأسبوع أن جمعت كافة ما كتبه الشيخ من مؤلفات وحققت ووثقت وقامت الجامعة مشكورة بطبعها وتوزيعها على الهيئات والباحثين في العالم الإسلامي ولقد بلغت هذه المجموعة عشرة مجلدات كبار فيها بالإضافة إلى ما سبق ذكره عدداً آخر من المؤلفات مثل :

كتاب مجموعة الحديث على أبواب الفقه، مختصر الإنصاف والشرح الكبير، قواعد تدور عليها الأحكام، شروط الصلاة وواجباتها، كتاب الطهارة، كتاب الزكاة، كتاب الصيام، أحكام الصلاة، أحكام تمني الموت، مختصر تفسير سورة الأنفال، بعض فوائد صلح الحديبية، الخطب المنبرية، رسالة في الرد على الرافضة.

فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي الفتاوى والمسائل التي جمعت من تاريخ نجد لابن غنام والدرر السنية في الأجوبة النجدية لابن قاسم والرسائل والمسائل النجدية.

وكذلك المسائل التي لخصها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما بخصوص الخطب المنبرية: فقد طبعته ونشرته دار الإفتاء سنة ١٤٠١ وقدم له الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف وضم خطباً أخرى منسوبة إلى

غير الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٣٩).

وأما رسالة الرد على الرافضة: فقد حققها الدكتور ناصر بن سعد الرشيد وقامت مكتبة دار طيبة بطبعها(٤٠) وهو مختصر مفيد في بعض قبائح الرافضة الذين رفضوا سنة حبيب الرحمن واتبعوا في غالب أمورهم خطوات الشيطان.

ولقد بذلت الجامعة جهداً طيباً وأشرف على إخراجه مجموعة كريمة مخلصة من منسوبي الجامعة إلا أن هذا الجمع يحتاج إلى عناية أكثر وتوضيح وشرح وتدقيق، وحبذا لو أعادت الجامعة طبع هذه المؤلفات منفصلة في طبعة أنيقة وعلى شكل سلسلة متكاملة لنشر وتعميم الفائدة منها.

كما أن للدكتور أحمد محمد الضبيب جهداً يشكر عليه في خدمة مؤلفات الشيخ حيث وضع سجلاً متسلسلاً ذكر فيه ما نشر من مؤلفات الشيخ وسميَ هذا السجل الحافل باسم «آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب»(٤١).

وفي العموم فإن الجهود التي بذلت في هذا الصدد تحتاج إلى فهرست عام للموضوعات التي تحدث عنها الشيخ ليساعد الباحثين وطلبة العلم على استخراج رأي الشيخ وموقفه من المسائل التي واجهها في حياته إبان فترة دعوته.

ما كتب عن الشيخ

ظهرت أعداد كبيرة من المؤلفات التي تحدثت عن الشيخ ودعوته غير ما ذكر في بطون الكتب التي تحدثت عن تاريخ الجزيرة العربية ومن أهم الكتب التي نشرت في تاريخ الشيخ ما يلي:

محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

والكتاب عبارة عن محاضرة بعنوان «الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته» ألقاها فضيلة الشيخ عبد العزيز ابن باز في الجامعة الإسلامية بالمدينة وأخذت من شريط التسجيل وطبعت لأول مرة سنة ١٣٨٨ وقدم للكتاب الشيخ عطية محمد سالم والكتاب يقع في ٥٠ صفحة(٤٢).

محمد بن عبد الوهاب العقل الحر والقلب السليم للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية للشيخ أحمد بن حجر آل طامي قدم لهذا الكتاب

وصححه الشيخ عبد العزيز بن باز.

محمد بن عبد الوهاب للأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار.

حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للأستاذ/ حسين خزعل.

وهناك كتاب نافع تحدث عن دعوة الشيخ ومنهجه هو كتاب «الحركة الوهابية .. حركة الفكر والدولة الإسلامية»(٤٣) للأستاذ عبد الرحمن سليمان الرويشد، وهو كتاب مفيد ويدافع عن دعوة الشيخ ويحرر مراميها، وحبذا لو تمت ترجمته إلى الإنجليزية والأردية والسواحلية بعد إضافة وتعديل لتتم الفائدة منه.

وفاته ... وفاة رجل وبقاء دعوة:

وعلى مدار حياته المباركة ومنذ أن تم العهد والميثاق مع الأمير محمد بن سعود سنة ١١٥٨هـ إلى أن توفاه الله سنة ١٢٠٦هـ، كان الجهاد قائماً والعطاء متواصلاً.

مات رحمه الله في شهر ذي القعدة، ولو كان يفدي بالنفوس فما غلى ولكنها سنة الله في خلقه. مات بعد أن أصيب بمرض كاد أن يقعده، وصعدت روحه إلى بارئها... بعد أن أعاد إلى نجد صفاء العقيدة وأنوار التوحيد وأحال أهلها إلى علماء، وفقهاء، وطلبة العلم. مات والحال كما وصفها عالم الأحساء، أبو بكر حسين ابن غنام حيث قال(٤٤).

لقد رفع الله به رتبة الهدى
بوقت به يعلى الضلال ويرفع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه
وأوهى به مطلع الشرك مهيع
وشمَّر في منهاج سنة أحمد
يشيد ويحيي ما تعفَّى ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التي
أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء، يبسم ثغرها
وأمسى محياها يضيء، ويلمع
وجرَّت به نجد ذيول افتخارها
وحق لها بالألمعي ترفع

مات رحمه الله بعد أن ترك تلاميذه أُسوداً في الحق أقوياء، في الدين يحملون العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص إلى الناس، وقفوا في وجوه جيوش إبراهيم باشا وقفة الأبطال، وقفة المؤمنين المحتسبين وأبلوا بلاء، حسناً في الذود عن مبادئهم وبلادهم.

لقد أصبح تلاميذ الشيخ وأحفاده جيوش سيف وعلم، قادهم حكام آل سعود إلى فتح بلاد أخرى لنشر التوحيد وتعليم الناس الدين ولهدم مظاهر الوثنية وإقامة شعائر الله.

وما يزال أحفاد هؤلاء، التلاميذ يتوارثون نور العلم وشعلة الجهاد أباً عن جد وهذا وحده دليل ناصع على صدق الشيخ في دعوته.

حتى جاء حفيد من أحفاد الشيخ هو العالم مفتي الديار السعودية في زمنه الشيخ محمد بن إبراهيم فأدرك بثاقب بصره وحسن رؤيته أهمية التعليم النظامي فأنشأ كلية الشريعة واللغة العربية والتي أصبحت نواة خير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تلك الجامعة التي تبوأت مكانتها العالية في الدراسات الشرعية والعربية وزودت البلاد خلال الثلاثين سنة بأبناء بررة مخلصين خدموها في مجال التدريس والقضاء والأدب والإعلام والبحث والاجتماع.

مات رحمه الله وقد أنارت دعوته ملايين القلوب في أرجاء العالم الإسلامي مات ودفن في أحد مقابر الدرعية ... أما فضله وعلمه وجهاده وتلاميذه فقد بقي جيلاً بعد جيل عبر عن ذلك الشيخ محمد ابن علي الشوكاني في قصيدة طويلة في رثاء الشيخ(٤٥).

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا
ومركز أدوار الفحول الأفاضل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدى
ومردي الصدى من فيض علم ونائل
محمد ذو المجد الذي عز دركه
وجل مقاماً عن لحوق المطاول
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه
وقام مقامات الهدى بالدلائل

مات وخلّف خمسة من الأبناء، العلماء الذين كان لكل واحد منهم قرب بيته مدرسة وعنده طلبة علم ولا يزال العلم في ذريته إلى يومنا هذا ولا يزال ما بذله الشيخ من تعليم وتوجيه مبنيّاً على أساس إيماني صحيح يستقي من كتاب الله وسنة رسوله، لا يزال نبراساً تسير عليه حياة الناس في المملكة.

فالناس هنا يتصفون بصفاء العقيدة ووضوحها وإخلاص التوحيد لله مما جعل حياتهم تعتمد على الدين وتصدر منه.

وليس بغريب أن آثار الشيخ بلغت حتى البدو في صحاريهم فتجدهم منذ زمن الشيخ إلى الآن يتدفقون لمعرفة الحق

وينصاعون إليه إذا عرفوه.

والناس في المملكة اليوم ليس لديهم تعظيم للقبور وخضوع للأولياء كما نشاهده في كثير من أنحاء العالم الإسلامي حيث تقام المباني الأنيقة وتوضع السدنة على القبور ويتقرب إلى أصحابها بالذبائح، وكأن ما يقومون به ذو أصل أو له مستند من الدين.

والناس في المملكة - في أغلب أحوالهم - يبتعدون عن الشعوذة والسحر وما يسيء إلى دينهم لأن في قربهم إلى هذه الأشياء قدح في توحيدهم واختفت هنا كل مظاهر البدع والخرافات - التي نراها سائدة اليوم في بعض بقاع العالم الإسلامي بين العوام مثل بناء القباب على القبور وتجصيصها وكسوتها.

والناس هنا يرون الصوفية بعداً عن الدين وغلواً في الشرع والله أمرنا بالاعتدال حتى في حب رسوله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته.

هذا هو محمد بن عبد الوهاب.

عنوان الأسماء العالية في التاريخ الحديث، كالشمس في واضحة النهار، مجرد من الألقاب والنعوت لأنه يسمو على التلقيب والنعوت.

وهذه دعوته علم صحيح سلفي متوارث ودولة قوية منيعة، فما على الأحفاد إلا اقتفاء آثار الرواد.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ورحم الله كل من جاهر معه وناصره.

والحمد لله رب العالمين.

● المراجع ●

١ - أحمد عبد الغفور عطار «صقر الجزيرة»، الطبعة الخامسة سنة ٣٩٩هـ المجلد الاول، ص ٤٣.

٢ - شكيب أرسلان «حاضر العالم الإسلامي» فصل تاريخ نجد الحديث الجزء الرابع. الطبعة الرابعة. دار الفكر. ص ١٦١.

٣ - أحمد عبد الغفور عطار «صقر الجزيرة»، الطبعة الخامسة، سنة ١٣٩٩هـ المجلد الاول ص ٤٤.

٤ - المرجع السابق، ص ٥٢.

٥ - المرجع السابق، ص ٥٢.

٦ - المرجع السابق، ص ٥٧.

٧ - المرجع السابق، ص ٦٦.

٨ - نقلاً عن المرجع السابق، ص ٧٧.

٩ - المرجع السابق، ص ٨٠.

١٠ ـ المرجع السابق ، ص ٨١ .

١١ ـ المرجع السابق ، ص ٨١ .

١٢ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ أسبوع الشيخ ـ جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية قسم الرسائل الشخصية ، الرسالة الأولى ص ٨ ـ ١٠ والرسالة موجودة في الدرر السنية جـ ١ ص ٢٨ ـ ٣١ . وهذه الرسالة موجهة إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته .

١٣ ـ المرجع السابق ، ص ٣٦ والرسالة موجودة أيضاً في الدرر السنية جـ ١ ص ٥٤ ـ ٥٦ .

١٤ ـ مجموعة الحديث النجدية ، المكتبة السلفية بالمدينة ، مقدمة الطبعة الثانية .

١٥ ـ مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، شرح السيد محمود شكري الألوسي ، مقدمة الطبعة الأولى للشيخ محب الدين الخطيب ، الطبعة الرابعة ، س ١٣٩٧هـ . ص ٥ .

١٦ ـ المرجع السابق ، ص ٥ .

١٧ ـ لوثروب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي ، الفصل الأول ، المجلد الأول الجزء الأول الطبعة الرابعة ، دار الفكر سنة ١٣٩٤هـ ، ص ٢٦٤ .

١٨ ـ بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الجزء الثاني محاضرات مطولة تحدثت عن الشبهات التي اثيرت حول دعوة الشيخ ، محاضرة الدكتور عبد الرحمن عميرة ومحاضرة الدكتوز عبد الكريم الخطيب ومحاضرة الشيخ محمد يوسف ، طبع سنة ١٤٠٣هـ .

١٩ ـ لوثروب ستودارد ، مرجع سابق ، ص ٢٦٢ .

٢٠ ـ د . سليمان بن محمد الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ ، ص ٣٧ . منشورات تهامة .

٢١ ـ ديوان ابن مشرف الأحسائي ، ص ٣٦ وهو أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الأحسائي وهذه القصيدة رداً على قصيدة لقمان ابن سند البصري التي أقذع فيها سب المسلمين وذلك حين نزل إبراهيم باشا الدرعية .

٢٢ ـ عبد الكريم الخطيب ، محمد بن عبد الوهاب العقل الحر والقلب السليم ، دار الكتاب المصري ، مصر ، ١٣٧٩هـ ، ص ٧٩ .

٢٣ ـ مريم جميلة ، الإسلام في النظرية والتطبيق ، مكتبة الفلاح ، ١٣٩٨هـ ، ص ١٠٠

٢٤ ـ بحوث أسبوع الشيخ ، الجزء الثاني ، الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، ص ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢١٢ .

٢٥ ـ د . محمد خليل الهراسي ، الحركة الوهابية رد على مقال محمد البهي في نقد الوهابية . طبع مؤسسة مكة ، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة ، ١٣٩٦ .

٢٦ ـ بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب «تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور وهبة الزحيلي ـ الجزء الثاني ، الصفحات ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ .

٢٧ ـ القصيدة الدالية في مدح شيخ الدعوة الإسلامية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٨٦هـ .

٢٨ ـ عبد الصمد سليمان الرشيد ، الوهابية

حركة الفكر والدولة الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ ، ص ٩ .

٢٩ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض . مقدمة الجامع الفريد . مطبعة المدينة ـ الرياض ١٣٨٧هـ .

٣٠ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم . مقدمة كتاب تيسير العزيز الحميد .

٣١ ـ الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض . مقدمة الجامع الفريد . وانظر ترجمته الموسعة في مقدمة كتاب قرة عيون الموحدين للشيخ إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ . الرياض .

٣٢ ـ كتاب فتح المجيد ، طبع مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض ،المقدمة .

٣٣ ـ مجموعة كتب ورسائل العلامة الشيخ حمد ابن علي بن عتيق ، تصحيح ومراجعة إسماعيل بن سعد بن عتيق ، دار القرآن الكريم ، بيروت ١٤٠٠هـ .

٣٤ ـ الجامع الفريد قدم له زيد بن عبد العزيز بن فياض ،١٣٨٧هـ ، مطبعة المدينة ،الرياض .

٣٥ ـ مجموعة التوحيد ، رئاسة إدارات البحوث العلميةوالإفتاء ، والدعوةوالإرشاد .

٣٦ ـ مجموعة الحديث النجدية وعليها شروحات للسيد رشيد رضا ،المكتبة السلفية الحديثة .

٣٧ ـ مختصرسيرة الرسول ، مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض ،١٣٧٥هـ .

٣٨ ـ «مسائل الجاهلية التي خالف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية» ، محمد بن عبد الوهاب المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٩٧هـ ، تعليق السيد محمد شكري الألوسي . وانظر مقدمة الشيخ محب الدين الخطيب وكذلك ص ١٠٠ من الكتاب .

٣٩ ـ الخطب المنبرية ، نشر وتوزيع دار الإفتاء ، ١٤٠٤هـ ، وقد ذكره الدكتور أحمد الضبيب في سجله الببليوجرافي تحت اسم ؛ خطب إمام الدعوة وبعض أحفاده » ،وتحت اسم ؛خطب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وبعض أحفاده » .

٤٠ ـ رسالة في الرد على الرافضة تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق د . ناصر بن سعد الرشيد ،دار طيبة ،الرياض .

٤١ ـ د . أحمد محمد الضبيب . أثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفاته ، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

٤٢ ـ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز «الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته . تقديم الشيخ عطية محمد سالم ، مكتبة الرياض الحديثة ،١٣٩٣هـ .

٤٣ ـ عبد الرحمن سليمان الرويشد ، الحركة الوهابية ... حركة الفكر والدولة الإسلامية ، الطبعة الأولى ،دار العلوم للطباعة ،١٣٩٧هـ .

٤٤ ـ القصيدة مذكورة بطولها في كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية للشيخ أحمد بن حجر آل أبو طامي ، ص ٨٥ ومطلعها ؛

إلى الله في كشف الشدائد نفزع
وليس إلى غير المهيمن مفزع

٤٥ ـ القصيدة مذكورة بطولها في المرجع السابق ومطلعها ص ٨٣ ؛

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي
وأصمى بسهم الافتجاع مقاتلي